صراعُ الذَّاتِ في ديوان «إيحاء» للشاعرة السُّودانية صفيَّة الشيخ الأمين

دكتور/ المكاشفي إبراهيم عبد الله محمد(١)

المستخلص

هدفت الدراسة إلى التعريف بالشاعرة صفية الشيخ الأمين، ودراسة موضوع صراع الذَّات في ديوانها "إيحاء"، وما يكمُن وراء هذا الصراع من فلسفة خاصة بها في نظرتها للحياة، معرفة طبيعة المجتمع السوداني الذي عايشته الشاعرة ونظرته لها ولبنات جيلها في ذلك الوقت، وكذلك قدرة الشاعرة على التكيف مع واقعها وتفاعلها مع الحياة والمجتمع، رغم ما واجهته من صعاب وعانته من آلام، ولفت نظر الباحثين لدراسة شعرها المغمور.

Abstract

The study aimed to introduce the poetess Safia Al-Sheikh Al-Amin, and to study the subject of the self-struggle in her collection of poems «Revelation», and what lies behind this conflict in terms of her own philosophy in her outlook on life, knowledge of the nature of the Sudanese society that the poet lived and looked at and the daughters of her generation at that time, as well as the ability of the poet to adapt to her reality and her interaction with life and society, despite the difficulties and pain she faced, and to drew the attention of researchers to study her poetry.

المقدمـــــــة

ينبع صراع الذَّات من خلال مواجهة الإنسان للحياة وصدامه بها، فالحياة لا تخلو من مشقة وكبد، و مجتمع الحياة لغز يحمل في داخله كل النقائض؛ لما فيه من مِلل ونِحل لها معتقدات وتيارات فكرية ومذاهب فلسفية، ينضاف إلى ذلك عدم سير الحياة على وتيرة واحدة، وإذا كان الإنسان العادي يعاني فيها، فكيف بالمبدع

(١) أستاذ الأدب والنقد المساعد – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – فرع كردفان.

ذي الحس الرقيق المرهف؟، بل وكيف إذا كان هذا المبدع في باكورة إبداعه، لم تصقله التجارب ولم تعركه الحياة، ولم تفتح الحكمة له أبوابها؟ عندها – حتماً– سيكون الصراع في داخله حيال الحياة ومجتمعها في أوجِّه؛ لأنَّ الحياة في منظور المبتدي لا تتسع مساحة التأويل فيها كثيراً ، وحكمه على الأمور كافة لا يتخطى دائرة الأسود والأبيض. وهذا ما قادني لدراسة صراع الذات الأنثوية في ديوان "إيحاء" للشاعرة السودانية صفية الشيخ الأمين، صاحبة السبق في طباعة أوَّل ديوان شعر نسائي في السودان ١٩٦٦م، كُتِبت قصائده في النصف الثَّاني من القرن الماضي، والشاعرة لم تبرح مرحلتي المتوسطة والثانوي إلى الجامعة، لا تزال في شرخ الشباب، وبداية التكوين الفني والثقافي بعد.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف منها:

١. التعريف بحياة الشاعرة صفية الشيخ الأمين.
٢. دراسة ظاهرة صراع الذات في ديوانها "إيحاء".
٣. معرفة طبيعة المجتمع السوداني الذي عايشته الشاعرة ونظرته لها ولجيلها من البنات في ذلك الوقت.
٤. معرفة قدرة الشاعرة على معايشتها لصراعها مع ذاتها وتكيفها مع واقعها وتفاعلها مع الحياة، رغم ما واجهته من صعاب وتلقته من آلام.
٥. لفت نظر الباحثين لدراسة شعرها المغمور.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تسليطها الضوء لتجربة شعرية نسائية رائدة، أطلت على الحياة الأدبية في مطلع الخمسينيات من النصف الثاني للقرن العشرين، في الوطن العربي عامة وفي السودان خاصة، وهذا لا شك يفيد في تقديم صورة عن

وضع المرأة المتعلمة والمبدعة في تلك الأزمنة المحافظة، وما عانته من صراع وكابدته من مشاكل بثتها لنا في شعرها.

منهج الدراسة :

انتهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل الدراسة:

قُسِّمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث، الأوَّل منها عن تعريف وجيز بحياة الشاعرة صفية الشيخ الأمين، والثاني عن مفهوم الذات و علاقته بالشعر، والثَّالث عن ملامح صراع الذَّات في ديوان "إيحاء" للشاعرة صفية الأمين. هذا وقد صُدِّرت الدراسة بمقدمة وخُتمت بخاتمة.

المبحث الأوّل

التعريف بحياة الشاعرة صفية الشيخ الأمين

جاءت ترجمتها في غلاف ديوانها "إيحاء" على النحو التالي:

من مواليد رفاعة، أوَّل مدينة في تاريخ السودان فُتِحتْ فيها مدرسة بنات. تلقَّت تعليمها الابتدائي بمدني، والثانوي بأم درمان. فنانة حازت على دبلوم الفنون من مدرسة الفنون الجميلة بالمعهد الفني بالخرطوم ١٩٦٣م. شابة وديعة هادئة لكنها ثائرة، تهوى الرسم والتلوين والنحت. هذه المجموعة هي بداية عملها الأدبي، كان إنتاجها منحصراً في محيط الدراسة. لديها مجموعة شعرية أخرى "وجدان" ستخرجها قريباً[١]. وخلا ذلك لا يوجد لها أثرٌ في الكتب التي اشتغلت على الأدب السوداني وتوفرت على أعلامه سوى ما ذكره مصطفى سند –عرضاً– في تقديمه لديوان سميرة الغالي" للنورس أغنية أخرى". يقول: "وقد كان في بلادنا ظلال

(١) صفية الشيخ الأمين، ديوانها "إيحاء"، دار الثقافة، بيروت،١٩٦٦م صفحة الغلاف الخارجي.

نبتت ذات يوم على ذاكرة انتفاضة أكتوبر فطرحت بروزاً شعرياً أنثوياً لست أدري أين ذهب واختفى : الرضية آدم ، فوزية دانيال ، صفية الأمين ، أسماء بنت الشمال، آمنة بنت وهب وغيرهن أيضاً"[١].

ومن عجبٍ أن تأتي أوَّل ترجمة لها من الخارج في كتاب "موسوعة الشعر السوداني الفصيح ١٩١٩م – ٢٠١٩م للباحثة المغربية فاطمة بوهراكة[٢]. ثم الإشارة إليها في كتاب"١٠٠ شاعرة من العالم العربي قصائد تنثر الحب والسلام ١٩٥٠–٢٠٠٠م" على أنها أول شاعرة سودانية لها فضل السبق في إصدار أول ديوان شعر نسائي في السودان ١٩٦٦م[٣].

المبحث الثّاني
مفهوم الذات وعلاقته بالشعر

الذاتُ لغة :

النفس والشخص، ويقال في الأدب: نقد ذاتي : يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته. وهو خلاف النقد الموضوعي[٤]. وقيل ذات الشخص نفسه وعينه، والفرق بين الذات والشخص، أنَّ الذات أعم؛ لأنها تطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يطلق إلا على الجسم[٥]. ومن الذات تولدت الذاتية بوصفها مصطلحاً انتقل إلى ميدان الأدب والنقد. وتعريف الذاتية هي: النزعة التي ترمي إلى رد كل شيء إلى الذات[٦].

(١) سميرة الغالي، ديوانها(للنورس أغنية أخرى) دار جامعة الخرطوم، الخرطوم،١٩٩٣م، ص ٣٠.
(٢) بوهراكة(فاطمة بوهراكة) موسوعة الشعر السوداني الفصيح (١٩١٩–٢٠١٩م) ، مطبعة بلال بفاس،٢٠١٩م، ٣٥٤.
(٣) بوهراكة(فاطمة بوهراكة) مائة شاعرة من العالم العربي (قصائد تنثر الحب والسلام)، مطبعة وراقة بلال، ط١، ٢٠١٧م، ص١١.
(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ،(ب ت)، مكتبة الشروق الدولية، ب م، ج١، ٣٠٧.
(٥) الجرجاني (علي بن محمد بن علي) ، التعريفات، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١٤٠٣،١هـ ، ص ٤٦.
(٦) جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس ، ب ت، ص ٢٠٥.

ومفهوم الذاتية عند الأدباء والنقاد هو: أن ينقل الشاعر أفكاره وعواطفه وخياله المستوحى من تجربته الذاتية في الحياة بما فيها من آمال وآلام وتفاؤل وتشاؤم(١).

وأما الشعر فمجاله الشعور سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون، أو مشكلة من مشكلات المجتمع، تتراءى من ثنايا شعوره وإحساسه(٢). وهو كذلك مجموعة العواطف والانفعالات التي تهيجها في نفوسنا أحداث الزمن ومشاهد الطبيعة ومفاتن الوجود وألوان الحياة... إنه فن تناول العواطف الجياشة في نفوسنا بالتأليف والانسجام وإبرازها في لغة جميلة ممتعة مؤثرة(٣).

ولذلك يرى بعض النقاد بأزلية العلاقة بين الأدب والنفس، فالنفس تصنع الأدب وكذلك يصنع الأدب النفس، فالنفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس(٤).

ومن هنا تبدو العلاقة الوطيدة بين الذات والشعر، ولا ينفك أحدهما عن الآخر، ولكن تتفاوت غلبة أحدهما على الآخر، وفقاً لميول الشاعر واتجاهاته الأدبية أو فلسفته الخاصة.

ولذلك فلا غرو إذا كانت الذاتية سمة بارزة من سمات الاتجاه الرومانتيكي في الشعر؛ لأن الشاعر الرومانتيكي معتد بذاته يعتقد أنها مركز العالم من حوله ولذلك يجب أن يتميز عما يحيطون به في خلقه وعاداته ومبادئه.فجاء أدبه مرآة لذلك التفرد وتلك الأصالة، مما كان سبباً للإعجاب به والنغمة عليه(٥).

(١) هلال(محمد غنيمي) ، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، القاهرة١٩٩٧م، ص٣٦٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٦.
(٣) خفاجي (محمد عبد المنعم) ، الشعر والتجديد، دار المعهد الجديد، القاهرة، ب ت، ص ٥.
(٤) عزالدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب، دار الغريب للنشر، ب م، ١٩٦٣م، ص ٥.
(٥) هلال(محمد غنيمي) الرومانتيكية، دار العودة، بيروت،١٩٧٣،ص ٣٧.

المبحث الثّالث

ملامح صراع الذَّات في ديوان "إيحاء" لصفية الأمين

يمثل ديوان "إيحاء" للشاعرة صفية الشيخ الأمين، واجهة لباكورة الصراع الأنثوي في السودان إبَّان النصف الثاني من القرن العشرين، وهي الفترة التي بدأت فيها المرأة العربية والإفريقية التحرر من قيود المجتمع المعقدة، والتخلص رويداً من العادات والتقاليد والموروث الثقافي الذي كان يقزِّم من دور المرأة ويحجِّر على انطلاقها، ونظراً لذلك فستتبع الدراسة خيط هذا الصراع في ديوان إيحاء اعتماداً على نقطتين هما: صراع الشاعرة في الحياة عامة وصراعها مع مجتمعها خاصة. وأوّل مبادئ صراعها مع الحياة يُلمس في قولها[1]:

أتخبطُ في ظلامٍ في ظنون وحَيْره

أصوغ الحلول للمشاكل المثيـــره

فلا بدّ أنّ ذكرها لمفردات نحو: ظلام وحيرة ومشاكل وحلول، يدل على صراع داخلي عنيف في نفس الشاعرة؟ لا سيما وأنَّ جل قصائدها نُظِمت في شرخ شبابها! ولكنها ليست بدعاً في ذلك فهذه حالة تصيب أغلب المبدعين وهم في بداية تفجُّر إبداعهم، انظر لقول التجاني:

مضى بك العقل لم تسعد به أثراً

واعتادك الشكُ إذ ضاقت بك السوح [2]

فالروحُ الشاعرية عامة وما فيها من رهافة الحس وباعث الإلهام كفيلة بأن تقود الشاعر إلى سلسلة من الصراعات التي يترجمها إلى إبداع يحمل في ثناياه فكراً أو اتجاهاً معيناً يتجهه الشاعر في الحياة، وخير ما يمثل هذا المنحى في شعر صفية، قولها[3]:

(١) صفية الشيخ الأمين، ديوانها "إيحاء"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢٣.
(٢) التجاني يوسف بشير، ديوانه "إشراقة"، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط ٢٠١٠م، ص ٣٣.
(٣) صفية الأمين، الديوان، ص ٣٢.

أي نداء هـــذا الذي يدعوني
أي صوت هذا الذي يناجيني
أيها القدر الحكيم أجبني
أهذا النداء خيال أم جنون ؟
أهو لغز أم وحـــي فنون ؟
أيها القدر الحكيم أجبني
إنَّ هذا النداء لا أدرك مغزاه
ومع ذلك أناغي موسيقاه
أعيش معه ولا أعرف مرماه
أيها القدر الحكيم أجبني

ثم تخلص إلى قولها[1]:

هاتف ونـــــداء مجتمعان
هما روحـــــــان مقترنان
ومن دنيا الإيحاء مقتبسان
أيها القدر الحكيم أجبني

وهذه التساؤلات المشروعة التي عزتها الشاعرة في ختام القصيدة إلى الإيحاء أو ما يسمى بالإلهام لم تكن هي وحدها التي انهكتها بحثاً عن إجابة شافية لها، فقد كانت كذلك محاور اختلاف وائتلاف بين الكثير من النقاد والأدباء، فقد رأى الرومانتكيون أنَّ الشِّعرَ إلهامٌ ، وأنَّ منبعَه انفعالُ الوجدان بالطبيعة والحياة والله[2].

ويقول محمد أحمد المحجوب "إنَّ الشعرَ إحساسٌ بالحياة وتقديرٌ لما في الوجود، وأنَّ هنالك روحٌ علوي يُنبِّه في النَّفس ذلك الإحساسَ، هذا الروح ما نسمِّيه بالوحي أو الإلهام"[3]. إلا أنَّ بعضَ المحدثين من النُّقادِ و الأدباءِ قد نزلوا بالإلهام

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣.
(٢) محمد مندور ، فن الشعر، مؤسسة هنداوي، ب م، ٢٠١٧م، ص ٢٢.
(٣) المحجوب، محمد أحمد، نحو الغد، شركة دار البلد، الخرطوم، ١٩٩٩م، ص٩٨.

إلى الواقع، وقللوا من قدره ، يرى (إدجار ألان بو) أنَّ كبرياءَ الشُّعراءِ هو الباعث على عدم اعترافِهم بما يعانون في صَنَعةِ الشِّعرِ ، ليتركوا الآخرين يفهمون أنَّهم ينظمون عفوَ الخاطر، في نوعٍ من النشوةِ والجنون الفنِّي[١].

ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ الإلهامَ هبةٌ روحانيَّةٌ ربَّانيةٌ يهبُها الله لمن يشاء من خلْقِه، وأنَّ المبدعين على تفاوت فيها.

وبالرجوع إلى قضية صراع الذات في ديوان "إيحاء" فالذي يبدو أنَّ صراع الشاعرة مع ذاتها تجاه الحياة ومحاولة فهمها على أنها شرٌّ كلها مرجعه لصغر سنها وقلة تجربتها آنذاك وتطرقها لقضايا كبيرة تتصل بالكون وألغازه وأسراره، ولذلك كانت أحكامها أميل إلى قلبها منه إلى عقلها ومثال ذلك، قولها[٢]:

فعلمت سر هذا الكون قاس وشرور

وتؤكد المعنى نفسه في ختام إحدى قصائدها فتقول[٣]:

وزفراتي يصعدن رسمن الحياة شريرة

وأكثر ما تمخض من شعرها في صراعها مع ذاتها تجاه الحياة، هو آلامها التي عانتها في حياتها، وعممت عليها حكمها[٤].

استوحي مـــــن أعماق ذاتي
قصتي التي امتزجت بمأساتي

ونحو قولها[٥]:

هي الآلام كستني كآبة ذات نغم موقع الترديد

(١) هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٣٤٩.
(٢) صفية الأمين، الديوان، ص ١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.
(٤) صفية الأمين، الديوان، ص ٨٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٨٦.

ورغم أن هذه المعاني دارت في كثير من أبيات شعرها بحيث أنها لا تنظر للحياة إلا من باب القسوة والألم، إلا إنها كثيراً ما تختتم هذه المعاناة والآلام التي تقاسيها في حياتها بانتظار قدوم فجر يبدد ظلام حياتها ويثير فيها البهجة والسرور، تقول[1]:

حملتُ كفاحاً وعراكاً صقلته من جهودي

فيا له مـــن قلب عزاؤه قدومُ فجرٍ جديد

هذا الفجر ترى –أحيانا– تباطئه وطول انتظاره، وهي تطارد نفسها بنفسها لتنجو من آلام الحياة، التي ضاقت بها ذرعاً، وسئمت طول الانتظار، تقول[2]:

أطارد نفسي بنفسي فأين النجاة فأين الفرار

سئمت الحياة كل الحياة وضقت بشيء يسمى انتظار

متى يبزغ فجري الجديد وأعزف القيثار

وأحياناً تراه حلماً يخفف وطأة الألم عليها، فهي وحيدة وعالمها بسيط وقلبها بريء كبراءة الطفل الرضيع، تقول[3]:

وحيدة تعيش في الصقيع

عالمها ساذج بسيط وضيع

بريئة كبراءة الطفل الرضيع

قلبها الكبير كم تألم

كتم هواه عميقا صار يحلم

لقدوم الفجر باندثار الليل المدلهم

وفي قصيدتها " تساؤل " يتحول الصراع الداخلي فيها إلى ندب حظها العاثر وتشكيها من ظلم الحياة لها، في استفهامات مستنكرة، تقول[4]:

(١) المصدر نفسه، ص ٨٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩١.
(٣) صفية الأمين، الديوان، ص ١٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٩٥.

لماذا كلما اتخذت الحياة جميلة
رسمتها فـي إطار كأنها خميلة
طيورها مغردة وأشجارها ظليلة
ارتطـــــــم بالصخـــــــور
لماذا؟
لماذا كلما غرد بلبل طربت
وكلما هبت نســـمة سكرت
وكلما عزفت موسيقى فرحت
ثم أشعر أنني وحيدة
لماذا؟
لماذا أصلي كصوفية معذبة
وتسمو روحي كملاك مهذبة
فأعود إلى الطين كأني مكذبة
لماذا؟

ويبلغ صراع الشاعرة ذروته في معاناتها مع الحياة وبؤسها وشقائها، وطول انتظارها للغد المشرق فتستخدم حرف التمني (لو) في جملة شرطية لا أمل في جوابها، تقول[1]:

لو بسم الغد لتوارى عذابي
وتدفقت حيويتي وشبابي

ويزداد قدوم الفجر في نفسها إعجاباً ، فيرتسم في ذهنها كطارق جميل يطرق بابها، تقول[2]:

ما أبدع قدوم الفجر عـــند بابي
ليمحو الشقاء من أحرف كتابي
فيومها تحلـــو كـــأس شرابي

(١) صفية الأمين، الديوان، ص ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

وأمَّا صراعها حيال مجتمعها فأوَّل خيوط هذا الصراع تتبدى في قصيدتها "مشاكل"، التي تبين فيها في وضوح نظرتها إلى مجتمعها وتقييمه وفقاً لمبادئها ومقارنته بما في ذاتها من آمال وطموح ونفس كبيرة وغاية نبيلة، ولذلك فهي تحتقر من يعيشون الحياة وينعمون بها؛ ولا يشقون فيها باستخدام عقولهم، تقول[1]:

أرى أناساً كباراً حيـــــاتهم نضيرهْ
يعيشون في رخاء في ظلال وفيرهْ
لا هم يشغلهم ... حـياتهم حقيـرهْ

وكأنها بهذا المعنى تنظر في قول المتنبي:

ذو العقلِ يشقى في النعيمِ بعقله
وأخو الجهالةِ فـــي الشقاوةِ ينعمُ[2]

ثم لا تلبث أن ترى ثورة عارمة في شعرها على أعداء الحرية، وتلتمس شيئاً من ثقافة وإلمام بالتاريخ لا بأس به، من نحو قولها[3]:

قف أيها الجلاد
بالسياط
قد انتهى عهد السياط
لأنها بربرية
لأنها وحشية
تقطع النياط
لسنا في عهد جنكيز خان
ولا نيرون
قد ولَّت البربرية
نحن اليوم في عهد الحرية

(١) صفية الأمين، الديوان، ص٢٣.
(٢) المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)، ديوانه، صححه، سليم إبراهيم صادر، دار صادر، بيروت ١٩٠٠م، ص ٤٩١.
(٣) صفية الأمين، الديوان، ص ١٣٣.

وهي تنظر للمجتمع وما فيه من صراع طبقي نظرة قاسية كنظرتها هي للحياة وما فيها من بؤس وشقاء ولذلك فلا عجب إذا تمثلت تفاصيل هذا الصراع في وقوفها مع الطبقة الكادحة في مجتمعها ومناداتها بإنصافها واستشراف مستقبل أفضل لها، عبرت عن ذلك في قصيدتها "حياة" تقول[1]:

هي من؟
إنها الحياة
وما بالها
تلهب بسوطها الفقير
وتجعل البؤس نصيب الكادحين
من الكادحون ؟
هم صانعو الحياة
هم عبيد الأرض!

وبعد أن حددت الكادحين (معذبو الأرض وبؤساؤها)، ممن ينتخبون زعماء البرلمان، ولكن الزعماء مشغولون عنهم، وملهيون بالحياة ولذاتها، تتوعدهم بثورة تقود أعناقهم إلى حبل المشانق. تقول[2]:

وهناك في العاصمة أبداً
ورائي كالجياع
الهائمون بلا متاع
هناك في البرلمان المخلوع
تدور الكؤوس
في صحة من يا ترى؟
في صحة الطاغي الكبير
في صحة الأسياد
والشعب الحقير

(١) صفية الأمين، الديوان، ص ٧٦-٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٧.

كثيراً ما أسقط الحبل... أعناق الطغاة

و كثيراً ما انتصر الحفاة

ولذلك تحول صراعها مع المجتمع إلى تبّنيها قضية الفقراء و المناداة بحقوقهم وطالما حلمت بأن ينصفهم الغد ويحقق أحلامهم، تقول[1]:

أختاه

سيري في موكب السُّمر الجياع

وغداً يا أختي ينكشف القناع

وندك أبراجَ الخيانة والخداع

ونقيم حكماً خالياً في الرِّعاع

فالغدُ صاحبنا

فهيَّا يا فتاة

ولم تمنعها ثورتها على مجتمعها الذكوري من تعنيفها لبنات جنسها ممَّن يعبثن بشرفهن ويلطخن سمعة أترابهنَّ، فعرضت لقضية المومسات بوصفها قضية رأي عام وشنت فيها هجوماً لاذعاً عليهن وعلى ضعاف النفوس من الرجال الذين يعبثون بشرفهن مستقلين حاجتهن للمال، تقول[2]:

البائعات النفسَ في سوق البغاء

الضاحكات .... من البكاء

واليائسات من الرجاء.

والضمير

والضمير الغاضب المجنون يرقى ويثور

والضمير الواهن المقلوب يأبى في فتور

والضمير يلفظ الأنفاسَ في صمت وفتور

طفلٌ تنهَّد ثم مات!

(١) صفية الأمين ، الديوان ، ص ٥١ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٨١ – ٨٢ .

والذئاب يمضغون اللحم في صمت المساء
والذئاب يشربون الكأس تقطر من دماء
ويدفعون ويخرجون
وتتكرر المأساة في قلب السكون

وبالعودة إلى بعض قصائد الديوان لفهم طبيعة هذا الصراع المحتدم في ديوان إيحاء، تتبدى بعض المعاني المعينة على ذلك، منها تقدير الشاعرة لفنها وإخلاصها له، وكذلك طبيعة نفسها التي تنشد السلام وتأبى العنفوان والقسوة، وما اجتمعت هذه المعاني في نفس مبدع إلا وتأججت نيران الصراع في نفسه حيال الحياة والمجتمع، فالمجتمع يعج بالنقائض والحياة لا تخلو من قسوة، فاسمع لقولها عن نفسها[1]:

فيها سرٌ وقدسية ووداعه
يرعوي طهرها في اليراعه
أيامها في العمر ساعه
تهبها للفن الجميل واتساعه
تعصر قلبها رغم صراعه
لينطلق ناشراً شراعه

وقولها كذلك[2]:

قلبي الأسير الذي ينشد السلام
من كل واد و يريد إسدال الظلام
أتراه فريسة سطت عليه أحزان فغدا حطام
لكنه كل يوم يزداد قوة تدفعه للأمام

وهذا يفسر ضمناً كيف استطاعت الشاعرة أن تحول صراعها مع مجتمعها إلى رسالة سامية تتبنَّاها وترعاها، تتمثل هذه الرسالة في غرس بذور الخير في

(١) صفية الأمين، الديوان، ص ١٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٧.

الحياة ومحاربة الشر فيها، تقول[1]:

هوايتي يا سائلي
أن أغرس الأزهار
في الصخور
وأطعم الأطيار
في الغروب
أن أحرس الصغار
من فتك عملاق
أسموه جوع
أسموه مرض
أسموه فقر!

وإذا كان هذا شأنها فلا غرو أن تستلهم بعض بطولات النساء ممن تعتبرهن قدوة لها، وأن تلهم الصغار قصص البطولة وتزكي في نفوسهم جذوة الثورة وتمجيدها، فكتبت في (جميلة بوحيرد) قصيدة تمجدها فيها وترفعها إلى قنن المجد، منها[2]:

يا جميلة
يا أخت الكفاح
يا نبيلة
كبلوك
سجنوك
عذبوك
ولكنك قديرة
انظري كيف أنا
صار يقتلني الضنى

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
(٢) صفية الأمين، الديوان، ص١٥١.

ثم تذكر وقوف شعبها وتضامنه معها[1]:

شعبي الأبي ثار
من كبار وصغار
هتفوا
أخرجوها فهي حرة
ساء ما فعلتم ياوحوش
يا بلاد العار والجوع
يا فرنسا
يا بلاد الإثم
والجنس الرخيص.

وهي تفعل ذلك لأنَّ جميلة في نظرها ضحية الحرية، ولذلك فحال جميلة حالها[2]:

وجميلة
صار اسم في لساني
فهي جزء من كياني
عذبوها
وأنا الحزن احتواني.
سوف يأتي الصباح وتستقل الجزائر
وسيهلل كل ثائر
فانتصار الحق
يزهق كلَّ جائر
فيومها
سأشدوا بالأغاني

(١) صفية الأمين، الديوان، ص ١٥٢-١٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

لجميلة

ولتحقيق عذبات الأماني.

واتبعت ذلك قصيدتها عن ثورة أكتوبر ١٩٦٤ المجيدة، والتي جاءت تحت عنوان " قصة أكتوبر للصغار"، بدايتها[١]:

أطفالي سأقص عليكم حكاية

فهي للأجيال محفز وهداية

ففي الحادي والعشرين من أكتوبر

وعلى ما أذكر في المساء

هبَّ طلبة الجامعة الأوفياء

منها[٢]

ومشى أمام الجمع قرشي لا يخشى الطغاة

ليرد للملايين الحرية يرد لها الحياة

وإذا رصاصة فتكت به صوبتها الرجعية

فجرت دماؤه لتروي شجرة الحرية

وتوحدت صفوفنا القومية

حيوا معي الجامعة قبلتنا الأزلية

ومنارة الفكر في القارة الأفريقية.

ولم يكن تمجيد الشاعرة لثورة أكتوبر وحكايتها للصغار ناجماً عن فراغ، تقول حاجة كاشف بدري: ومن خلال المشاركة الإيجابية للمرأة في تعبئة الجماهير وتفجير ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، نالت حقها كاملاً في أن تُنتخب و لأوَّل مرة لكل الأجهزة السياسية، مع مكاسب أخرى حازتها[٣].

(١) صفية الأمين، الديوان، ص ١٤١.

(٢) صفية الأمين، الديوان، ص١٤٧ .

(٣) حاجة كاشف بدري، الحركة النسائية في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم٢٠٠٢م،ص ١٢٩ .

الخاتمـــــة

تناولت هذه الدراسة قضية صراع الذَّات في ديوان " إيحاء" للشاعرة صفية الشيخ الأمين، وبعد الدراسة والتحليل، أوصلت الدراسة إلى نتائج عديدة، منها:

١. أزلية العلاقة بين الأدب والنفس، فالنفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس.
٢. إنَّ الروحُ الشاعرية عامة وما فيها من رهافة حسٍّ وإلهام كفيلة بأن تقود الشاعر إلى سلسلة من الصراعات التي يترجمها إلى إبداع يحمل في ثناياه فكراً أو اتجاها معيناً يتجهه الشاعر في الحياة.
٣. إنَّ صراع الشاعرة مع ذاتها تجاه الحياة ومحاولة فهمها على أنها شرٌّ، مرده لصغر سنها وقلة تجربتها آنذاك وتطرقها لقضايا كبيرة تتصل بالكون وألغازه وأسراره ، ولذلك كانت أحكامها أميل إلى قلبها منه إلى عقلها.
٤. إنَّها في كثير من شعرها لا تنظر للحياة إلا من باب القسوة والألم، إلا إنها كثيراً ما تختتم ذلك بانتظار قدوم فجر يبدد ظلام حياتها ويثير فيها البهجة والسرور.
٥. يتمثل صراعها مع مجتمعها من خلال مقارنتها للمجتمع بما في ذاتها من آمال وطموح ونفس كبيرة وغاية نبيلة.
٦. في شعرها ثورة عارمة على أعداء الحرية، وإشادة بالثورة ورموزها في الوطن العربي عامة.
٧. احتدام صراعها حيال الحياة عامة والمجتمع خاصة، لما في نفسها من حب وإخلاص لفنها ، ولما في داخلها من سلام وبغض للقسوة والأنانية.

المصادر والمراجع

١. بوهراكة(فاطمة بوهراكة) ، مائة شاعرة من العالم العربي (قصائد تنثر الحب والسلام)، مطبعة وراقة بلال، ط١،٢٠١٧م.

٢. بوهراكة(فاطمة بوهراكة) ، موسوعة الشعر السوداني الفصيح (١٩١٩-٢٠١٩م) ، مطبعة بلال بفاس٢٠١٩م.

٣. التجاني يوسف بشير، ديوانه "إشراقة"، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط ٢٠١٠م.

٤. الجرجاني(علي بن محمد بن علي) ، التعريفات، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١،١٤٠٣هـ.

٥. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، ب ت.

٦. حاجة كاشف بدري، الحركة النسائية في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ٢٠٠٢م.

٧. خفاجي(محمد عبد المنعم) ، الشعر والتجديد، دار المعهد الجديد، القاهرة، ب ت.

٨. سميرة الغالي، ، ديوان للنورس أغنية أخرى دار جامعة الخرطوم، الخرطوم،١٩٩٣م.

٩. صفية الشيخ الأمين، ديوانها "إيحاء"، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦م.

١٠. عزالدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب، دار الغريب للنشر، ب م، ١٩٦٣م.

١١. المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)، ديوانه، صححه، سليم إبراهيم صادر، دار صادر، بيروت ١٩٠٠م.

١٢. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، ب م ، ب ت.
١٣. المحجوب، (محمد أحمد)، نحو الغد، شركة دار البلد، الخرطوم، ١٩٩٩م.
١٤. محمد مندور فن الشعر، مؤسسة هنداوي، ب م، ٢٠١٧م.
١٥. هلال(محمد غنيمي)، الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م.
١٦. هلال (محمد غنيمي)، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.